ثمرة بلا أغصان

نسلت بين الجموع كي تفوز بنظرة إليها، وراحت تتأمل ذلك الوجه البريء وذلك الجسد المغري وتلك الملامح التي تعبر عن روح شفافة استطاعت ببساط أن تأسر أكثر شباب القرية ثراء، وجعلته يقف في وجه عائلته حتى تسمح له بالزواج منها.

أغمضت عينيها وهي تتذكر كيف تخلت عنها، وسقطت الدموع تبكي تلك الليلة التي استسلمت فيها لمن تحب، وأعطته حقا لا يستحقه ،ليلة حب كستها غيوم الغدر فأثمرت جنينا كرهت أن تحتفظ به، وعملت بجد في التخلص منه ولكنها فشلت، خشيت من افتضاح أمرها خاصة عندما نضبت مشاعر الآدمية لدى ذئب الحب، وتركها تتخبط، محاولة تفادي عاراً أوشك أن يتلبسها، اعتزلت الجميع، وتوارت تماما عن الأنظار إلى أن وضعتها ذات ليلة ممطرة، حولت شوارع القرية إلى وحل تغوص فيه الأقدام .

لم تضمها إلى صدرها، لم تنظر إلي ملامحها الدقيقة، صرخات الطفلة أثارت جنونها فوضعت يدها على فمها محاولة إخراج تلك الروح العنيدة ،لولا أن تداركتها مشاعر أقوى من رغبتها في الانتقام من حبيب غادر وثمرة حب جاءت لكي تكشف ستراً طالما توارت خلفه، لفتها في خرقة بالية وبيد مرتعشة ألقت بها إلى عرض الطريق.. ليل تواطأت ظلمته معها وعادت إلى بيتها محاولة اقتلاعها من قلب كان السبب في نكبتها.

تطوعت إحدى نساء القرية بكفالتها وبالرغم من كل شيء كانت تلقب "ببنت الحرام"، عندما شبت كان شغل

نساء القرية الشاغل هو الربط بين ملامحها وملامح مطلقات القرية وأراملها حتى يكشفوا عن شخصية تلك الآثمة التي تخلت عن نقائها ولطخت بالعار طفلة لا ذنب لها سوى أنها نتيجة طبيعية لضعف إنساني المشاعر ،حيواني الرغبات .

جلست بجوار "عريسها " في شموخ استمدته من ذل تجرعته منذ بدأت تعي الحياة، ترتدي ثوبا ناصع البياض لم تجرؤ فعلة والدتها على تدنيسه هذه المرة .

تمنت لو وقفت بجوار ابنتها تتلقى التهاني ككل أم، تمنت لو احتوتها بذراعيها واحتوت بداخلها كل تلك السعادة التي تشع من عينيها، سلبها الموقف اتزانها وأخذت تقترب إلى أن كادت تصل إليها، وتذكرت يوم أن ذهبت إليها لتخبرها بأن من تقف أمامها هي أمها الحقيقية وطلبت منها أن تسامح يدا آثمة ألقت بها متعمدة في وحل الشوارع فنظرت إليها تلك النظرة التي جعلتها تذرف كل تلك الدموع التي لن تصدر سوى عن قلب عاش طوال عمره بالظلام وما أن صادفت عينيه الخفاشيتين ضوء الندم حتى أذل كل الدموع .

تلاقت نظراتهما للمرة الثانية فاصطدمت عيناها بنكران لصلة ما، ما أن بدأها الحب حتى فصمها العار، نظرة ملأت عيني العروس بدمعة كادت تترجاها أن تنسى ليلة الشتاء تلك وأن تبحث عن شيء آخر تدعه كل مشاعر الندم .